كلمة الدكتور مروان المحاسني
رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق
في حفل استقبال الدكتور عبود السراج

أيها الحفل الكريم

إنها فُرصٌ سعيدةٌ تلك التي تجمعنا بوجوهٍ نَضرةٍ تهتمّ بأمور مجمعنا، وتتحيّن الفرصَ لحضور نشاطاته.

ونحن اليوم نحتفل باستقبال عضوٍ عامل جديد هو الأستاذ الدكتور عبود السراج، الحقوقي الجامعي المتميّز.

ولا شك بأن المجالات الحقوقية تستند إلى مُعظم المكوّنات اللغوية التي يحتاج إليها كل من يسعى إلى توضيح الموضوعات المعقّدة، وصولاً إلى إيجاد الحلول المناسبة لها، مُرتَكِزاً على حُسن البيان، وفصاحة الكلام، وبلاغة التعبير.

إن لغة الحقوق هي لغةُ العقل المُفصِّل للحجج، المرتّب للمعطيات مُتسلسلةً على قواعدَ منطقيةٍ مترابطة، تحُول دون تأصيل الشكوك، وتؤكد إزالة الشبهات.

وحين نتكلّم عن العقل الذي لا بد من اعتباره خلاصةَ إنسانيّةِ الإنسان، يحق لنا أن نتساءل: هل سَيعود هذا العقل إلى سنّ الرشد في زماننا؟

أي هل هو على مسارٍ يستفيد فيه من أثقال ماضيه، معتمداً خبراتِه

المتكاملة، ليصل إلى المكانة التي يستحقّها بقُدرته على التعامل مع الصِّعاب، للوصول إلى ملامسة الحقيقة؟

فإن الحقيقة هي واحدة، والضّلالات كثيرة. وحقيقة الأمر أننا ما زلنا نسير نحو استكمال حداثةٍ انطلقت من حركة التنوير، جاعلةً من مفهوم التقدّم المستمرّ عقيدةً لا يجوز التحوّل عنها، وذلك بالاعتماد على العقل للتخلّص من ضغوط الطبيعة، مستندين إلى العلوم الحديثة، والتقانات المتفرّعة عنها في سباقٍ مستمرّ نحو ما نظُنّ أن فيه سعادة البشرية.

وقد بدأنا نشعر بتراجع قيمة الإنسان بعد استيلاء عالم التقانة على المنطلقات الإنسانية العميقة، الحاملةِ للرموز وللقيم، والملأى بتوهّجات المشاعر، إذ إن عالم التقانة يثابر على تطوير الوسائل، التي تؤدي إلى إنتاج وسائلَ أقوى، في مسارٍ تصاعديّ لا غاية له سوى التسلّط على أهم مكوّنات إنسانية الإنسان، وهي مكوّنات أخلاقياته التي يتحكّم بها العقل.

وهذا المسار التصاعدي غير الواضحِ الأهداف، قد بدأ يفرض وجوده في الحياة اليومية للشعوب التي لم تساهم في تطوره، وذلك باقتحام لُبِّ الشخصية الثقافية للأفراد في مجتمعاتنا، بما يعكرّ صفاء لغتنا، وهي عماد هُويَّتنا، حتى يُصبح الإنسان مخلوقاً افتراضياً، سريرته معروضةٌ على غمامة الشبكة العنكبوتية، حيث يجري تخاطبها مع الآخر.

وأما عالم الحقوق فلا بُدَّ لنا من تأكيد قناعتنا بأنه مازال عالَماً إنسانياً، يدافع عما نشأنا عليه من قيمٍ واعتبارات وعلاقات، نابعةٍ من أعماق حضارتنا العربية الإسلامية، التي بُنيت مجتمعاتنا على أُسُسها، وهي التي تدفعنا دوماً إلى إحقاق الحق متى وجدنا إلى ذلك سبيلاً، وإلى نَجدة الضعيف وصَون مجتمعنا من الانجرار في الانحرافات الكاذبة للحداثة، خوفاً من النكوص إلى متاهاتِ الاستخفاف بالقيم، والغَرَق في أمواج الأثرة والتضليل.

وسوف يبقى مجمعنا حريصاً على تفهّم حقائق تراثنا، ليعتمدها مَشاعِلَ تنير مسارنا في التطابق مع معطيات الحداثة لنستطيع أن نعيش في مِلء حاضرنا وليس في معازل التعصّب الخانقة.

أيها السيدات والسادة

قبل أن يتكلم الأستاذ الدكتور عبود السراج عن سلفه المجمعي الكبير الأستاذ الدكتور عزيز شكري رحمه الله، اسمحوا لي أن أخرج عن المألوف، وأسبقه بعرض نظرتي الشخصية إلى فقيدنا.

فقد عرفته في الثمانينيات من القرن الماضي، خلال زيارةٍ قصيرة قُمت بها لجامعة الكويت، وعرفت فيه مثقفاً سوريًّا أثبت لنفسه مرتبةً تدريسية عالية، بفضل علمه ولغته، التي ضمّ إليها تعمّقاً في اللغة الإنكليزية، الغالبة على جامعات الخليج، وهي ضرورية لمن يتولّى تدريس الحقوق الدولية.

ثم التقينا في رحاب مجمعنا، حيث كان عضواً بارزاً في مناقشة الموضوعات في مجلس المجمع، يُدلي بالآراء الواضحة مع النقد اللطيف الذي يميز شخصيته.

وكان كذلك مُصِرًّا على التعاون مع زملائه المجمعيين في إنجاز الموسوعة العربية، التي أوصلها إلى القريب من تمامها.

ولقد ترك رحمه الله انطباعاً لا ينسى في جميع مجالات العمل المجمعي.

وأترك الكلام الآن للأستاذ الدكتور موفق دعبول عضو المجمع ليقدم لنا السيرة الذاتية لزميلنا المجمعي الجديد... فليتفضل.